جملة ما ورد عليها كلها في المدة المشار اليها آنفاً بلغت ٠٠ ٣٤٧ ٣٥ رطل انكليزي مقابل ٠٠٠ ٢٧١ ٧ رطل في مثل هذه المدة من سنة ١٩١٣

والصعوبة التي يلقاها الحلفاء في منع ورود النحاس على المانيا والنمسا كبيرة فان تجار النحاس طرقاً عديدة لاخفائه ثم ان البضائع التي كان ثمنها ممنوعاً لم يذكر فيها بعض مركبات النحاس وامزجته التي يسهل استخراجهُ منها مع انهُ قد يكون فيها بمقدار سبعين في المئة

ولا يستطيع الالمان ان يبتاعوا النحاس من الخارج الاَّ اذا دفعوا ثمنهُ ذهباً واوراقاً مالية اما الذهب المذخور في المانيا فقليل ولا يظن ان الالمان يفرطون بما في يدهم منهُ الاَّ بعد ما يشتد بهم الضيق اشتداداً عظيماً جداً وحينئذٍ يجازفون به في هذا السبيل · ولا يبعد انهم يدفعون الآن ثمن بعض ما يأتيهم من النحاس ذهباً ولكن لا ريب في انهم يدفعون ثمن معظم ما يأتيهم منهُ تحاويل ولما كان لا بد لهذه التحاويل ان تصل الى بنوك لندن ففي وسع هذه البنوك ان تعرف البلاد التي اتت منها والبيوت التجارية او المالية التي اعطت هذه التحاويل بل في طاقة هذه البنوك ان تقبض يدها وتصعب المواصلات المالية بين المانيا والبلدان المحايدة التي يظن انها تمدها بالنحاس وسائر الادوات التي تعينها على مواصلة الحرب

الاستعداد للحرب

الرأي قبل شجاعة الشجعانِ هو اول وهي المحل الثاني
ولربما طعن الفتى اقرانهُ بالرأي قبل تطاعن الاقرانِ

قرأنا للاستاذ ولكنسن استاذ التاريخ الحربي في جامعة اكسفرد مقالة يكاد قولهُ المتبع هذا يكون عنواناً لها لانهُ بيَّن فيها ان الفوز في الحرب يستلزم الاتفاق التام بين رجال الادارة وقواد الجيش وان يكون كل فريق منهم عارفاً بوقائع الحال معرفة تامَّة مبنيَّة على الرويَّة وحسن النظر وان لا ينقاد احدهم الى الاهواء التي يتغلَّب تسلطها على النفوس في زمن الحرب · قال « ولا شبهة في ان المانيا قد اعدَّت لهذه الحرب عدتها بعد امعان النظر لانها من اشد الامم تبحُّراً في هذا الموضوع ومع ذلك يحتمل انها اخطأت في نظرها لانها لم تحسب ان انكلترا تنضم الى اعدائها ولعلَّ هذا هو سبب ما بدا منها من الغيظ الشديد منا

« والحروب على نوعين صغيرة وكبيرة فالحروب الصغيرة هي التي تثيرها دولة لتأديب بعض العصاة او لفتح بعض البلدان · وكبيرة وهي التي تتناظر فيها الدول وكل فريق منها يتوخى

قهر الفريق الآخر والسيادة عليه او تقييده بما يشاء من القيود والشروط . ولا يخفى ان هذه الحرب من النوع الاخير ومنه كانت حروب نبوليون وحرب ملكي سنة ١٨٦٦ ومعه بسمارك يمنعه من التطرف فيها وحربه سنة ١٨٧٠ ومعه بسمارك يحثه عليها . ومنه الحرب التي اثارتها النمسا على السرب في الصيف الماضي وهي تحسب انها حرب صغيرة والحرب التي اثارتها المانيا على روسيا وفرنسا ولتشت غيظها في البلجيك

« اذا اثارت امة حربا كبيرة على امة اخرى اضطرت هذه ان تقابلها بالمثل اي ان يقوم كل ابنائها للذود عن حرضهم وحفظ كيانهم وهم لا يفعلون ذلك الا اذا علموا انهم اذا غلبوا دارت الدائرة عليهم كأمة مستقلة وانه لا نجاة لهم الا اذا قهروا خصمهم . اذا ادركت الامة ذلك اشتركت كلها في الحرب رجالها ونساؤها بما يستطيعه كل احد منها من قوة ومال وتدبير

« والوسيلة التي يتوخاها مديرو الحروب الكبيرة من القواد والضباط ان يجمعوا قوتهم كلها ويصبوها على خصمهم حتى يضطروه الى التسليم والقبول بالشروط التي يفرضونها عليه بعد ان يقهروه في معركة او معارك فاصلة ويطاردوه الى عاصمته ويحتلوها . واذا كانت الحرب بحرية فعليهم ان يتلفوا اساطيله ويحصروا ما لجأ منها الى المرافىء . كذا فعل نبوليون فانه تغلب على الجيش النمسوي في واقعة اولم واخذ ڤينا وقهر جيشاً آخر في اوسترلتز ثم اشترط على النمسا الشروط التي ارادها . وقهر خصومه في يانا واحتل برلين وقهر الجنود البروسية التي جاءت لتخليصها منه ثم فعل ما يريد . وملكي تغلب على الجيش الفرنسوي في غرافلوت واسر جيشاً آخر في سيدان وحاصر باريس وقهر كل الجيوش التي جاءت لانقاذها ثم اشترط الشروط التي ارادها للصلح . ونلسن اوقع بالاسطول الفرنسوي في ابي قير فصار بحر الروم له ثم اوقع بالاسطول الفرنسوي والاسباني امام اسبانيا ومن ثم صارت بريطانيا سيدة البحار الى ان قامت المانيا الآن وبنت اسطولاً قوياً وهي تقول ان سيادة البحر مكتسبة لا موروثة

« من الاقوال المأثورة ان النصر ينال بسفك الدماء لكن الاختبار يدل على ان دماء كثيرة تراق فتذهب هدراً والدماء التي يريقها المغلوب اكثر من التي يريقها الغالب ولكن النصر يستلزم شيئاً آخر غير سفك الدم يستلزم حسن التدبير . وحسن التدبير هذا لا يأتي عفواً بل لا بد له من نظر وروية واهتمام شديد كما يشهد تاريخ الاسكندر وهنيبال وقيصر وغستافوس وفردرك ونبوليون ودلجتون وملكي

« قال المستر اسكوث ان هذه الحرب لا تضع اوزارها الا بعد ما تتلاشى الروح الحربية من المانيا . اما انا فاقول انه يستحيل علينا ان نتلاشى الروح الحربية ولكننا نستطيع ان

ملاشي الجيوش الالمانية والاسطول الالماني . فاولاً يجب علينا ان نتلف الاسطول الالماني في معركة واحدة او معارك عديدة ولو كلفنا ذلك فقدان اسطولنا كله . وثانياً يجب ان نقهر الجيش الالماني في معركة كبيرة مثل معركة سيدان اوياتا او ورتو او في معارك متوالية . وثالثاً يجب ان نزحف جيوش الحلفاء على برلين ومونخ وهنوفر . وقد يعقد الصلح قبلما نفعل ذلك ولكنهُ لا يكون صلحاً دائماً بل هدنة وقتية لان المانيا تعود الى الحرب ما لم نقهر قهراً تاماً

« واتلاف الاسطول الالماني ليس بالامر السهل لان امراء البحر الالمان رجال بواسل متقطعون الى عملهم قائمون بما يطلب منهم والتغلب عليهم وعلى اسطولهم يكلفنا كثيراً وقد نضطر ان نتلف اسطولنا حتى نتمكن من اتلاف اسطولهم فلا اسف عليهِ لاننا انشأناهُ لهذا الغرض واذا اعدنا ما فعلهُ نلسن واتلفنا اسطول الالمان من غير ان يتلف اسطولنا كلهُ بقيت لنا السيادة على البحار وكل ثمن رخيص في جنب هذه الغاية

« يقول البعض انهُ يصعب علينا رد الجيش الالماني الى عبر نهر الرين . اما انا فارى أن علينا امراً آخر اصعب من هذا وهو ابقاء الجيش الالماني حيث هو ومنعهُ من الرجوع الى عبر نهر الرين . فانهُ يجب علينا ان لا ندعهُ يعبر ذلك النهر الاَّ قهراً هاربة من وجهنا وحينئذٍ يكون عبور جيوش الحلفاء الرين بداءة الخاتمة لهذه الحرب

« هذا كل ما يحق لنا ان ننظر فيهِ ونتولاهُ واذا تخطينا ذلك نكون قد تجاوزنا الى ما ليس من شأننا بل من شأن قواد الجيش وامراء البحر . والآن لا يُطلَب منا ان نبحث عمَّا يجب على هؤلاء القواد والامراء ان يفعلوهُ ولا عمَّا هم فاعلوهُ لاننا قد فوضنا اليهم امر هذه الحرب ونحن واثقون انهم لا يفعلون الاَّ ما يرون فعلهُ واجباً بل يُطلَب منا ان نبحث عمَّا يجب علينا نحن ان نفعلهُ في هذه الاحوال اي عمَّا يجب ان يفعلهُ كل واحد منا لاحراز النصر »

وبعد ان فرغ الكاتب من هذا البيان وعلَّق عليهِ رأيهُ في ما يُطلَب من الامَّة الانكليزية في هذا الوقت العصيب عاد الى شرح ما ينتظر من الالمان فعلهُ الآن فقال « انهُ كان عند المانيا في بداءة الحرب نحو خمسة ملايين من الجنود المدربة وقد اعدَّت لهم كلهم العدة الكاملة من بنادق ومدافع وما اشبه . واظن ان عندها ايضاً مليونين يسهل تدريبهم وتنظيمهم وارسالهم الى ميادين القتال . ووسائل تدريبهم ميسورة لديها وكان مرادها ان تهاجم فرنسا اولاً بكل جيشها وتوقف تقدم روسيا بواسطة الجيش النمسوي ومَن يسهل عليها الاستغناء عنهم من جيشها . وتحمي اسطولها بكل ما لديها من الالغام والغواصات وسفن التربيد حتى تمنع الاساطيل البريطانية من الدنو منهُ وتضطرها ان تبقى حيث هي مرابطة عاطلة عن العمل .

وهو اسلوب حكيم لا اظن انها تعدل عنهُ . ولذلك لا بد من ان يتكرر هجوم الالمان على جنود الحلفاء في ميدان الحرب الغربي مرةً بعد اخرى . واذا قوي ساعد الروس وكثرت جيوشهم حتى اضطرَّ الالمان ان يرسلوا جانباً كبيراً من جيشهم لصدهم وضعفت قوتهم في ميدان الحرب الغربي لجأوا الى الدفاع بعد الهجوم في بلجكا والرين ووراءهم حصون منيعة في متز وناموز وليج وانفرس ووراء هذا الخط حصون ستراسبرج وميتس وكوبلنز وكولون وثسل . ولا بدَّ من قهر الجيش الالماني واخذ هذه الحصون كلها منهُ قبلما نستطيع ان نشترط عليهِ شروط الصلح التي نريدها . ونحن نشك في كون فرنسا قادرة وحدها ان تمدَّ من الجنود ما يكفي لقهر الجيش الالماني كلهِ وفتح حصونهِ فاذا اريد ان تصير كافية للقيام بهذا العمل فلا بدَّ من انجادها بالجيش الانكليزي حتى يصير مجموع الجيشين اقوى من الجيش الالماني . ولا ينال الظفر التام الاَّ اذا زاد احد الجيشين على الآخر زيادة كبيرة ولاسيما اذا كان هذا الجيش الذي يراد قهرهُ متدرباً احسن تدريب كالجيش الالماني . فاذا بلغ عدد الجيش الالماني ثلاثة ملايين في الاماكن التي ذكرتها وجب ان يكون عدد الجيش الكافي للتغلُّب عليهِ ستة ملايين واذا بلغ عدد الجيش الفرنسوي اربعة ملايين فقط وجب ان يبلغ عدد الجيش البريطاني مليونين حتى يصير مجموعهما ٦ ملايين . وليست الصعوبة في ايجاد الرجال اللائقين للحرب بل في ايجاد الاسلحة الكافية لهم وتعليمهم وتدريبهم حتى يصيروا مثل الجيش الالماني . وهذه هي الصعوبة التي تهتم انكلترا الآن في تذليلها

« وقد صار عند المانيا هذا العدد العديد من الجيش المدرَّب لانها اخترعت طريقة خاصة للتجنيد اقتبستها منها كل دول اوربا ما عدا بريطانيا . فكل طفل يولد في المانيا يسجَّل اسمهُ وكل الاطفال الذين ولدوا منذ ٢٠ سنة يختار منهم الاقوياء الابدان وهم اكثر من نصفهم ويتنظمون في الجيش العامل سنتين يمرنون فيها تمريناً تاماً على اسلوب يؤهلهم لخوض غمار الحرب ومتى تمَّت عليهم السنتان يصرفون ولكنهم يكونون مستعدين دائماً للعود الى فرقهم اذا نشبت الحرب . ولما اعلنت الحرب في الصيف الماضي دعي عشرون صفاً من هؤلاء الرجال اي كل الذين ولدوا في عشرين سنة متوالية وسنهم بين ٢٠ و ٣٩ ثم دعي بعض الذين اعفوا من الخدمة العسكرية لاسباب مختلفة وبعض الذين سنهم اقل من ٢٠ او اكثر من ٣٩ لانهم يبتدئون في القرن الحربي وعمرهم ١٧ سنة

« ونظام الالمان هذا يجعل كل رجل المانيٍّ جنديًّا مستعداً لحمل السلاح والدفاع عن وطنهِ سواءٌ كان بين المشاة او الفرسان او المدفعية او رجال الميرة او رجال سكك الحديد

كأنهم تلامذة مدرسة كبيرة مختلفة الفرق ويجعل المانيا مستعدة للشروع في الحرب دائماً بجيش كبير جداً منظم احسن تنظيم من رجاله بين العشرين والتاسعة والثلاثين»

ثم ابان الكاتب ان انكلترا لم تكن مستعدة هذا الاستعداد لا في عدد جنودها ولا في اسلحتها . وقد ظهرت مقالتهُ في جزء يناير من مجلة القرن التاسع عشر وهي مؤرخة في الحادي والعشرين من دسمبر ولا بدَّ من انهُ شرع في كتابتها قبل ذلك بايام . ويظهر مما نشرتهُ جريدة التان الفرنسوية في اواخر يناير ان انكلترا تغلبت على كل المصاعب في تجنيد الجنود واعداد الاسلحة لهم فقد نشرت التان كتاباً جاءها من لندن قال فيهِ كاتبهُ ما يأتي

زعم قوم ان انكلترا تباطأ وتثاقل في تأهبها الحربي لغاية تريدها فاحدث هذا الزعم الفاسد استياء في بعض المحافل الفرنسوية والروسية التي تجهل حقيقة ما يجري الآن في انكلترا فان السلطة العسكرية فيها جيشت جيشاً من المتطوعين كافياً ما دامت رحى القتال دائرة عددهُ ثماني مئة الف مقاتل وسمتهُ جيش كتشنر وضمت اليهِ الذين تطوعوا ليظفروا في الجيش ولو انتهت الحرب وقسماً من الجيش النظامي فصار عدد الجيوش الانكليزية التي تأهب لخوض الحرب في الميدان الغربي لاول فرصة تسنح مليوناً ونيفاً من الجنود

ولم تكن مسألة العدد الاَّ مسألة ثانوية في نظر الحكومة الانكليزية لبذلك جهدها في بادىء الامر لتهيئة المعدات التي كانت تنقصها وتنظيم الفرق والفيالق وتدريب المتطوعين . واذا قابلنا حال انكلترا الحربية قبل اعلان الحرب الاوربية بحالها بعدها ادركنا الجهد الجهيد الذي بذلتهُ في ذلك السبيل فانهُ لم يكن لها قبل الحرب الاَّ جيش نظامي صغير في انكلترا ومستعمراتها وجيش في الهند وجيش آخر وطني يحاكي الجندرمة . ولم تكن هذه الجيوش ما عدا الجيش الهندي على شيء من الاستعداد لمثل هذه الحرب العظيمة ولما ظهر جيش التورد كتشنر الى الوجود فجأة لم يكن في معامل الحكومة بندقية واحدة فشغلت المعامل بهمة لا تفتر ولا تني وامرتها الحكومة اولاً بان تصنع البنادق والمدافع والاسلحة والذخائر لجيش مستحدث يزيد على خمس مئة الف مقاتل . وثانياً بان تكمل معدات الجيش النظامي وثالثاً بان تعد كل ما يلزم لجيوشها في فرنسا ومصر والعراق ومستعمراتها الافريقية . ورابعاً وهو الاهم ان تعد لحلفائها من ادوات الحرب ما لا يمكنهم صنعهُ في بلدانهم لانشغالهم بتعبئة الجيوش

واراني لا ابوح بسر حربي اذا قلت ان حكومتي فرنسا وروسيا طالبتا من انكلترا ان تصنع لها معدات كثيرة فاسرت معاملها بالتعجيل في صنعها وتقديمها على معدات جيوش الانكليزية

نفسها ولم تكن المعامل التي في انكلترا في ذلك الحين كافية لصنع ما طلب منها فجعلت حكومتها تنشئ معامل جديدة كبيرة ستخرج لنا في فصل الربيع القادم الشيء الكثير من معدات القتال

تلك همة تصغر دونها كل همة فكيف يعير قوم آذانهم لاشاعات تنقص وطنية انكلترا قدرها . انهم اذا صدقوها وقالوا بها كان لقولهم هذا تأثير سيء في الخارج فيتوهم الاجنبي والحايد ان التجنيد في انكلترا امر بلا معنى وان دولة انكلترا العظيمة لا تستطيع ان تجيش جيشاً بريًّا يحارب في البر الى جانب الحلفاء

والحق يقال ان انكلترا لم يتسنَّ لها بعد ان تقوم بامر التجنيد حق القيام للاعتبارات التي ابنتها فكانت دائمًا تقيم العقبات في سبيل المتطوعين وترجو منهم ان يتأنوا و ينتظروا لانهُ لم يكن من مصلحتها ان تجيش جيشاً كبيراً لا يتسنى تسليحهُ واكساؤهُ الاَّ بعد اشهر

والذي اراهُ ويراهُ كل عاقل واقف على مجرى الامور ان التجنيد لا يكون جديًّا سيء في انكلترا الاَّ بعد ما يسافر جيش اللورد كتشنر الى ساحات القتال وعددهُ يزيد على مليون جندي وبعد ما يتم انشاء المعامل التي بدئ بانشائها لتكفي جيوش الحلفاء كلها من معدات القتال ما دامت الحرب ناشبة

هذا وقد اصدرت حكومة انكلترا اوامرها الى الدوائر الانتخابية باحصاء القادرين على حمل السلاح فيها الذين يتهافتون على التطوع تهافتاً اقل ما يقال فيهِ انهُ مثال الوطنية الحقة في انكلترا وبانهاء الشروط معهم ومقدار الرواتب التي توزعها على عيالهم . فبلغ عدد الشبان الذين قيدوا اسماءهم في الدوائر الانتخابية الى الآن ليحملوا السلاح لاول دعوة تصدرها نظارة الحربية — وهم طبعاً غير الذين تطوعوا قبلاً — مئتين وعشرين الفاً وعددهم يزيد كل يوم ولا تمضي عدة ايام حتى يضيف على مليون متطوع

واقول في الختام وما اقوله حق لا ريب فيهِ وهو ان انكلترا لم تقتصر على المساعدة التي ساعدت بها حلفاءها في البر لغاية في نفسها او لقلة اكتراث منها وانما كان ذلك لاحوال قهرية اضطرتها اليهِ اضطراراً فانكلترا كحليفاتها تود من صميم فؤادها ان تنتهي من هذه الحرب في اقرب آن ولا اغالي اذا قلت ان حشد مليون ونصف مليون من الجنود في اثناء سنة واحدة في بلاد لا تزيد قوتها البرية على ثلاث مئة الف جندي عمل عظيم جداً لا تقدر عليهِ دولة في العالم غير دولة انكلترا العظيمة . انتهى

هذا وقد جاءتنا الاخبار من انكلترا وقت كتابة هذه السطور ان الحكومة الانكليزية قررت ان يكون جيشها ثلاثة ملايين واعدت المال اللازم لهم